

محاضرات وندوات مصورة - الأردن - جامع التقوى - الحلقة ٠٠٥ : قانون التولي والتخلي .
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠١٤-٠٩-٠٤ .

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين ، وعلى صحابته الغر الميامين ، أمناء دعوته ، وقادة ألويته ، وارضَ عنا وعنهم يا رب العالمين .
اللهم أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم ، إلى أنوار المعرفة والعلم ، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات .

التولي والتخلي :

أيها الأخوة الكرام ؛ ورد عن سيدنا علي رضي الله عنه يقول : " قوام الدين والدنيا أربعة رجال ، عالم مستعمل علمه"

وعالم بعلمه لم يعملن معذب من قبل عباد الوثن

* * *

عالم مستعمل علمه ، وجاهل لا يستتف أن يتعلم ، أخطر إنسان بحياتنا نصف العالم ، لا هو عالم يزيد من علمه ، ولا هو جاهل فيتعلم ، لذلك من الناس من يدري ، ويدري أنه يدري فهذا عالم فاتبعوه ، ومن الناس لا يدري ويدري أنه لا يدري فهذا جاهل فعلموه ، ومنهم من لا يدري ولا يدري أنه لا يدري فهذا شيطان فاحذروه .



البطولة أن تطلب العلم ، وأن تكون مفتقراً إلى الله ، فلذلك درس بليغ يحتاجه كل مؤمن لا كل يوم بل كل ساعة ، الصحابة الكرام هم نخبة البشر ، وفيهم سيد البشر ، هم هم وفيهم سيد البشر ، قال قائل منهم : لن نغلب من قلة ، صحابة رسول الله وفيهم حبيب الله ، قال تعالى :

﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ

مُذْبِرِينَ ﴿

[سورة التوبة: ٢٥]



حين تقول "أنا" يتخلى الله عنك وحين تقول "الله" يتولاك

أي ملخص الملخص الملخص .

حينما تقول : أنا .

يتخلى الله عنك .

حينما تقول : الله .

يتولاك .

فأنت بين التولي والتخلي .

بعملك ، في بيتك ، في تجارتك ، تقول :

أنا ، وأنا ، وأنا .

يتخلى الله عنك .

تقول : الله .

يتولاك .

فأنت بين التولي والتخلي .

الإعتداد والإفتقار .

الصحابة الكرام في حين اعتدوا بعددهم وهم صحابة رسول الله ، لذلك قال بعض العلماء : لو أن الصحابة الكرام انتصروا في أحد لسقطت طاعة رسول الله ، نزلوا إلى ساحة المعركة من أجل الغنائم و لم ينفذوا أمر نبيهم .

و في حين اعتدوا بعددهم ولو أنهم انتصروا لسقط التوحيد .

في بدر افتقروا إلى الله فانتصروا .

وفي حين اعتدوا بعددهم فلم ينتصروا .

في اللحظة التي تنسب النجاح إلى

نفسك ، إلى إمكاناتك ، إلى علمك ،

إلى شهادتك ، إلى حجمك ، إلى

خبراتك ، إلى قدراتك .

تقول : أنا .



أرجع الفضل لله ولا تعد بما لديك

يتخلى الله عنك .

تقول : الله .

يتولاك .

فأنت بين التولي والتخلي في كل ساعة ، بل كل دقيقة ، إذا نسب نجاحه إلى نفسه ونسي الله عز وجل تخلى الله عنه .

الأخذ بالأسباب و التوكل على الله :

صحابية النبي صلى الله عليه وسلم في بدر افتقروا فانتصروا ، أما في حنين فقالوا : لن نغلب من قلة فلم ينتصروا ، الموقف العلمي الإسلامي أن تأخذ بالأسباب وكأنها كل شيء ، ثم تتوكل على الله وكأنها ليست بشيء .

العالم الغربي أخذ بها ، واعتمد عليها ، وألّها ، فوقع في وادي الشرك ، في طريق ضيق عن يمينه واد سحيق ، وعن شماله واد سحيق ، إذا أخذت بالأسباب واعتمدت عليها وقعت في وادي الشرك :

﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴾

[سورة يوسف : ١٠٦]



وإن لم تأخذ بها أصلاً كحال المسلمين اليوم وقعت في وادي المعصية ، فأنت بين أن تقع في وادي الشرك إن أخذت بالأسباب واعتمدت عليها ، وبين أن تقع في وادي المعصية إن لم تأخذ بالأسباب أصلاً .

لذلك أيها الأخوة ؛ في عملك ، في دراستك ، طالب جامعي ، صاحب متجر ، أي عمل إذا أخذت بالأسباب

واعتمدت عليها ، ونسيت الله عز وجل وقعت في وادي الشرك ، وإن لم تأخذ بالأسباب وتوكلت على الله ، فاعلم أن المتوكل من ألقى حبة في الأرض ثم توكل على الله ، فلذلك الكلام الدقيق ، سيدنا عمر مَرَّ برجل معه جمل أجرب ، قال له : يا أبا العرب ، ما تفعل به ؟ قال : أدعو الله أن يشفيه ، قال له سيدنا عمر : هلا جعلت مع الدعاء قطراناً ؟

فلذلك الأخذ بالأسباب أصل من أصول الدين ، والكلام الدقيق أن تأخذ بالأسباب وأن تتوكل على رب الأرباب ، إن أخذت بالأسباب واعتمدت عليها وقعت في وادي الشرك ، وإن لم تأخذ بالأسباب وقعت في وادي المعصية ، بين المعصية والشرك الموقف الدقيق والعميق أن تأخذ بها وكأنها كل شيء ثم تتوكل على الله وكأنها ليست بشيء .

وفي السيرة النبوية النبي صلى الله عليه وسلم لما هاجر أخذ بكل الأسباب استأجر دليلاً رجح فيه الكفاءة والخبرة على الولاء ، كان مشركاً ، توجه ساحلاً ، قبع في غار ثور ، أخذ بالأسباب ، ثم توكل على الله ، فلما كان مع الصديق وصلوا إليه ولحكمة بالغة بالغة أنهم وصلوا إليه ، قال له الصديق : " يا رسول الله لو نظر أحدهم إلى موطن



قدمه لرآنا ، قال: يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟".

النبي صلى الله عليه وسلم أخذ بالأسباب بكل شيء ، سار مساحلاً بطريق مخالف، واصطحب دليلاً آخر ليمحو الآثار ... ووصلوا إليه ، قال : " يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما ". أي في عملك ، واختصاصك ، وتجارنتك ، وفي بيتك ، ودراستك ، يجب أن تأخذ بالأسباب وكأنها كل شيء ثم عليك أن تتوكل على الله وكأنها ليست بشيء ، المسلمون إذا أخذوا بالأسباب واعتمدوا عليها وقعوا في وادي الشرك ، وإن لم يأخذوا بالأسباب وقعوا في وادي المعصية ، هذه قاعدة يمكن أن تطبق في كل حياتك .

اللهم أعطنا ولا تحرمنا ، أكرمنا ولا تهنا ، آثرنا ولا تؤثر علينا ، أرضنا وارض عنا.

والحمد لله رب العالمين